نظرية إمكانية التحقق عند الوضعية المنطقية

The Theory of verification in the logical Positivism

يمكـن القول أن أول من صاغ «مبدأ إمكانية التحقق من المعنى»، بوضوح هو «وايزمان» فى كتابـه «التحليـل المنطقى لتصور الإمكانية» عام (1930) مفـاده أن معنى القضية يكمن في منهـج التحقق منها[1]. حيث يسـتخدم هـذا المبدأ للتأكد من صدق أية جملـة تقال عن العلم، ويعـنى أن الجملة لكى تكون ذات معنى ينبغى أن تصف الواقـع وتقبل إما التحقيق المباشر من صدقها بالتجربة والرجوع إلى شهادة الحواس، وإما التحقيق غير المباشر بإجراء عمليات الرد المنطقى عليها لتحويلها إلى جملة تقبل التحقيق المباشر[2]. وهو المبدأ نفسـه الذى اشـتهرت به المدرسـة الوضعية المنطقية، حيـث يقولون أيضاً أن معنى القضية يقـوم في منهج التحقق منها، أو فى قول آخر ولكنه يعود إلى المعنى نفسـه: «إن للجملة معنى في ظرف وظرف واحد، هو أن يكـون من الممكن التحقق منها» ذلك أن الوضعيين الجدد يرون أننا لا نعرف معنى جملة ما إلا حينـما نعـرف إن كانت صادقة أو خاطئة، ومعني هذا أن طريقـة التحقق من المعني ينبغى أن تتوافر فى الوقت نفسه مع المعنى والعكس بالعكس (أى أنه لا طريقة للتحقق من المعنى إلا مع الشيء). وهو يعنى على حسـب تعبير «ليبنتر» الفيلسوف الألمانى فى «اللامتميزات» إن طريقة التحقق والمعنى هما واحد ونفس الشيء[3].

ولذلـك فإن معيار إمكانيـة التحقق principle of verification في صورته الأصلية يشـبه إلى حـد بعيـد المعيـار البرجماتى للمعـنى عند «بـيرس» وكان هذا المبـدأ فى التحقق يسـتهدف اسـتبعاد العبارات التى لا يمكن أن نتصور منطقياً أن يكون هناك بشـأنها «شاهد» يؤيدها أو يدحضها[4].

(1) ألفريد جولس آير: الفلسفة فى القرن العشرين، ترجمة ودراسة / بهاء درويش، مراجعة / إمام عبد الفتاح إمام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2006، ص31.

(2) محمد فتحى عبدالله: معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 2009، ص48.

(3) إ. م. بوشنسكى: الفلسفة المعاصرة فى أوروبا، مرجع سابق، ص 99.

(4) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 202.

وعلى سبيل المثال - إذا رجعنا إلى القضية القائلة بأن «النفس خالدة» لم نجد صفة الخلود مما نستطيع التحقق منه فى التجربة الحسية، بل إننا لا نلتقى فى عالم الخبرة الحسية بكائن يسمى «النفس» ومن هنا ذهب المناطقة الوضعيون إلى أن الميتافيزيقا مجرد خرافة وأن قضاياها خالية من المعنى[1].

وعلى ذلك وضع «كارناب» تصوراً جديداً لمعيار التحقق من المعنى، يتلخص فى الآتى:

1- كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتأييد تأييداً تاماً، وهذا هو مبدأ التأييد التام.

2- كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتحقق تحقيقاً تاماً، وهذا هو مبدأ التحقق التام.

3- كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتحقق، وهذا هو مبدأ التحقق.

4- كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتأييد، وهذا هو مبدأ التأييد. وفى كل هذه الأحوال كما يرى «كارناب» يجب أن تكون الصفات متعلقة بما هو قابل للملاحظة[2].

وعلى أساس مبدأ التحقق - يضرب آير لذلك مثلاً فيقول: إن العبارة القائلة «هناك جبال فى الجانب الآخر من القمر» عبارة ذات معنى، على الرغم من أنه قد لا تكون تحت أيدينا في الوقت الحاضر السبل المواتية للتحقق من صحة أو كذب تلك القضية. والسبب فى ذلك أنه ليس ما يمنع من أن تكون هذه العبارة قابلة للتحقق مبدئياً، مادام فى وسعنا أن نتصور بناء سفينة فضاء تخترق الفراغ على مدى واسع وبالسرعة الكافية. أما إذا قلنا «أن الله موجود» بمعنى أن ثمة كائناً فائقاً للطبيعة هو الذى أوجد العالم وخلق الكائنات فإننا عندئذ إنما نتفوه بعبارة فارغة من كل معنى، لأننا نقرر قضية لا تحتمل الصدق أو الكذب، ولا تقبل التحقق على أى نحو ما من الأنحاء، ولهذا فإن قولنا بأن «الله موجود» لن يكون سوى لغو فارغ لا معنى له، وهكذا الحال بالنسبة إلى سائر العبارات الميتافيزيقية[3].

(1) يحيى هويدى: مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة العاشرة، القاهرة، 2001م، ص 90.

(2) عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الثانى، مرجع سابق، ص 252.

(3) زكريا إبراهيم: مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، 1971م، ص ص 147، 148.

ومن ثم فإن الفلسفة عند آير لا يمكنها أن تتجاوز نطاق المحسوس ابتغاء معرفة واقع آخر يتجاوز نطاق العلم والإدراك الفطرى، وبالتالى فإن قضاياها كما يقول آير أقرب إلى قضايا الشعر العاطفية، وبذلك تقترب نظرتها من الأسطورة إلى حد كبير، فما تقدمه لنا الميتافيزيقا فى نهاية المطاف لا يختلف كثيرا عما تقدمه الأساطير أو الأعمال الفنية، فهى تكتفى بالتعبير عن دائرة الإنفعالات أو العواطف، وإن حاولت ذلك من خلال صيغة عقلية[1].

والحق أن النزعة الوضعية فى نظرتها إلى علاقة الفلسفة بالعلم قد نظرت إلى هذه العلاقة من زاوية واحدة، وهى زاوية الانحياز الكامل للعلم على حساب الفلسفة، ومن ثم تشّكلت وتلونت نظرتها للفلسفة فى ضوء هذه الزاوية وحدها، ومن هنا انطوت نظرتها على تناقضات عديدة، فهى لم تستطع أن تتخلص كلية من تأثير النظرة الفلسفية على الرغم من هجومها عليها[2]. فقد وصل آير من خلال نقده للنظرة التقليدية للفلسفة إلى تحديد وظيفة محددة ينبغى أن تلتزم بها الفلسفة، ألا وهى وظيفة التحليل المنطقى للمفاهيم والرموز العلمية، ومن ثم فالفلسفة هى نشاط تحليلى فى المقام الأول[3].

ومن هنا أدى مبدأ إمكانية التحقق إلى فقدان التجريبيين المنطقيين شعبيتهم بين أقرانهم من الفلاسفة، ذلك لأنه إذا قال لك خصمك فى الفلسفة بأن عباراتك باطلة لكان فى ذلك ما يثير أعصابك، أما إذا قال لك إنها عبارات لا معنى لها، وإنها فى حقيقتها لغو، لكان ذلك أسوأ من إثارة الأعصاب[4].

نظرية الإضافة غير الضرورية

تعتبر نظرية الإضافة غير الضرورية أحدث النظريات التى تناولت مشكلة الصدق، وهى نظرية جديدة في مجال البحث، لم ترسخ أفكارها بعد كنظرية فى عالم الفلسفة، وتفيد باختصار:

(1) محمد مجدى الجزيرى: الفلسفة بين الأسطورة والتكنولوجيا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2002، ص224.

(2) المرجع السابق: ص208.

(3) المرجع السابق: ص224.

(4) هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، مرجع سابق، ص 244.